ويبصر حكمته في كل ما ليس ۞ كأنه ما لديه يرضى بحبسي

فلو أخّر من المحذور يغري ۞ إذا العبد بنيه يرمي ونحسي وقال

في من نوائبا في تمريضي ۞ نبوة الدهر كان خير تمريضي

حقه واجب على مفيض ۞ لا يؤدى وقد مضى في فضوضي

قاد والود والإخاء وما كل ۞ مريض يجد من يمرضي

فهو كالأم في اللطافة والبر ۞ وكالوالد الشفيق الأبي

والشفيق الوصول البر وإن كان ۞ بعيدا فمن وهو الشفيق

قد جرى في مفاصل الحب منه ۞ حين لا يعتني مجاري العروق

خف ثقلي على طبيب فراض ۞ ... دون دخول ووصول بي

من جاره ارجا رحمي وإن علو ۞ إلى من قبلهم عفوي

الفصل الثاني من الباب الخامس عشر فيما يتزين به أهل المحبة من شرائع العوائد المستحبة

ينبغي أن يكون أول ما يبدأ به فيما يجب من الأدب على الجليس في مصاحبة الأخ في مجلسه وأدبه أن الداخل على الأخ لم يكن جليسا إما خصيصا به أو أجنبي فإن كان أجنبيا فينبغي له أن يستأذن في الدخول إليه وينظر حيث يراه وأن يبدأه بالسلام إذا دخل عليه وينظر بعين الإكبار إليه فإن استدناه دنا وإن أذن له في الجلوس جلس حيث انتهى به المجلس حتى يرفعه إن أراد الكرامة فإن ذلك تجميلا لقدره وتأنيسا لتحسينه وقال الأحنف بن قيس لأن أدعى من بعيد أحب إلي من أن أقصى من قريب وإن كان خليطا يجلس من كان يجلس إلى جانبه ويجتنب إليه من يكره ما يكره على غيره فينبغي له وقت جلوسه أن يكون بيته ويبرز إلى من فرجة لاحتمال أن يجيء من يجب عليه إكرامه فيرجع من مجلسه في تلك الفرجة ومن آداب الجليس ملازمة المخالطة والمعاملة بلا تكلف ونزل الجواب على ... الكلام وستر العيب وحفظ الغيب وأن يحسن الحديث إذا حدث ويحسن الاستماع إذا حُدث ولكن حرمة مجلسه إذا غاب كحرمته إذا حضر ومراده أن يكون مع رئيسه كما كان حارثة بن بدر مع زياد وحكي أن

زياد

زياد النخبة على استيثار حارثة بن بدر فقال كيف أكرمه رجلا من شيبان يؤذيه من أهل العراق لم يصطك ركابه ركابي ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه ولا تأخر عني فلويت عنقي إليه ولا أخذ علي الشمس في شتاء ولا الروح في صيف ولا سألته عن شيء من العلوم إلا حسبته أنه لا يحسن غيره قال عبد الملك بن صالح لعبد الله بن وهب الحمصي مؤدب ولده عبد الله استخلصه وأنزله منزلته يا عبد الله اعلم أني قد جعلتك جليسا مقربا بعد أن كنت بعيدا مبعدا ومن لم يعرف نقصان ما خرج منه لم يعرف رجحان ما دخل فيه فلا تطريني في وجهي فأنا أعلم بنفسي منك ولا تساعدني على قبيح فيقبح مني وأنا في الغضب فإن من أمارات الذي نعمني فيه فينقص عندي فيك بالمساعدة عليه وكن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام فقد قيل إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول ... فتكلم ولا تزد على في مجلس وكلمني بقدر ما استطعمك واعلم أن حسن الاستماع أحسن من حسن القول وإذا حدثتك حديثا فلا يفوتك منه شيء فإن ملة التعلم من القائل بل وضع له وأرني فهمك في طرفك فإني رضيت لك من لسانه وما تولد الكلمة ... ما صغ إليه بسمعك واقبل عليه بوجهك ووكل بشغفتيه نافذا واشغل بحديثه خاطرك واسمعه سماع مستبشر به مستنكر له وإن أحكمته علما وأتقنته فهما ولا تعرّض في الرد له عليه فربما ساقت الأنفيان إليه وفي كلام بعض الحكماء الاستماع بالعين فإذا رأيت عين من تحدثه مقبلة على غيرك فاصرف حديثك إلى غيره وقال الحسن فقول من قال

إذا ما سرّه نالك فافهم ۞ فإن عليك غيرك فتقاه

فكن عفّ الجوارح ذا احتمال ۞ بغير الانتقاد بلا رضاه

وقال العباس لولده عبد الله إن هذا الرجل يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الأكابر من الصحابة وإني أوصيك بخمس لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده أحدا ولا يجربن عليك كذبا ولا تعصين له أمرا ولا يطلعن منك على خيانة وقال شاعر في العباس

إذا حدثوا لم يخش سوء استماعهم ۞ وإن حدثوا أدوا بحسن بيان